على هامش المدرسة المزعومة في الشعر العراقي

لامراء في ان جزءاً غير قليل من نتاجنا الادبي في الوقت الحاضر ـ وما نتاجنا الى ضئيل ـ متأثر بنتاج الادب المصري المعاصر ، فقد اندفع كثير من شبابنا وشاباتنا ممن يطلق عليهم اسم الشاعر او الشاعرة ، والكاتب او الكاتبة في تيار بعض المذاهب الادبية في مصر وربما في سورية ولبنان . فانجرفوا في التقليد الى ابعد حد واقصى غاية ظانين ان تلك المذاهب انما تمثل الاتجاه الصحيح في الادب ، بل ربما كان بعضهم ابعد نظراً بالنسبة الى اولئك ـ فيظن ان تلك المذاهب المصرية ماهي الا صدى لمذاهب الغرب واتجاهاته ، وهي بالفعل كذلك ـ ومن ثم يشعر بشيء غير يسير من الاستقرار والاطمئنان الى انه بعمله هذا قد شايع الغرب ومذاهبه في الادب والفنون .

وهذه مشكلة لا اظنني البادئ بامر تحقيقها وتحليلها فقد اكثر القول فيها من قبلي الكثيرون .

وانما وجدتني اعيد على بدء لما بدأ من اهتمام القراء المجلب للانتباه حقاً بديوانين او ثلاثة من دواوين الشعر التي ظهرت قبل شهور . ولما كتب عن هذه الدواوين في الصحف والمجلات من تقريض كاذب ومدح مزيف لعل مبعثها الجاملة المحضة او الجهل المخزي الذي (يتمتع) به بعض نقادنا .

ولقد قرأت هذه الدواوين بجد واهتمام . فرأيت ان المذهب الرمزي يملك على هؤلاء الشعراء امرهم ويكاد يقيدهم تقييدا لافكاك لهم منه .

وللقارئ ان يتأمل في عنواني ديوانين من هذه الدواوين « خفقة الطين » للسيد بلند الحيدري ، و [عاشقة الليل] لنازك الملائكة ، ثم له ان يضحك من بعد ذلك بملء شدقيه.

عند العنوانين فقط بل ان يستمر في قراءة الديوانين ليتلذذ بنعمة الضحك التي وهبها الله له ، والتي ستثيرها فيه (الغصون الخالة) و (الطين البليد) و (لعنات التراب) و (الريش الحالم) و (الجدول المغفل) و(الجيفة التي فتنت حب الشاعر واحلامه) . الى آخر هذه الحماقات التي يعدونها رمزاً للعقل الباطن ودليلا علية .

على ان الذي اريد دفعه من الاذهان هو أني لاانكر العقل الباطن اوانفيه فليس ذلك بيدي ولكني اظن ان تعابير اللغة العربية اوسع من ان تقف عند الريش الحالم والجداول المغفلة وسائل للتعبير عنه .

وكنت احب ان استمر في هذا النوع من التعليقات على الشعر الذي جاء في الديوانين المذكورين ، ولكني اثرت الامثلة القليلة تجنبا للتكرار وحبا في الانتقال الى ملاحظة اخرى قد تكون اكثر اهمية من الاولى .

هذه الملاحظة في واقع الامر تنبيه لهذا الشاعر او ذاك الى مرحلتنا الحاضرة من الكفاح الاجتماعي والصراع الوطني الذي نحن فيه والذي يتطلب منا شعرا حماسيا وادبا اجتماعيا عنيفا لا ادبا مخنثا قوامه الغرائز الواطئة ، واساسه مذاهب في الغرب اقل مايقال في وصفها انها من الركاكة والهزال في مكان

فنزعة الرمزية لم تقف في الغرب عند الشعر خاصة والادب على وجه العموم فحسب ، بل تعدتها الى الفنون الاخرى كما هو الحال في التصوير . واذا المرأ هنا يتعرض لحماقات ومهازل

> لسنا نشك في ان للادب الرمزي بواعثه ومسبباته التي لا يسعنا شرحها في هذه المجالة ويرجع اغلبها الى ضغط البيئة غير الملائمة التي تكبت المشاعر في الفرد وحينئذ تحاول الظهور تحت ستار من الفن الرمزي الذي يعبر عنه التصوير والشعر والنثر فنحن نختلف مع الكاتب الكريم من حيث وجهة نظره الى الادب الرمزي الذي ينعته بالحماقات والمهازل .
>
> التحرير

ان اراد .

واقول للقارئ : الحق ايضا انني تعبت اشد التعب لعجزي عن ايجاد اسم اطلقه على هذا الضرب من السخف والغفلة لاخلعه على هذا الشاعر وتلك الشاعرة .

غير ان القارئ خليق بالا يقف

تمس من حماقات الشعر الرمزي ومهازله . واذا (بيكاسو) وهو من زعماء هذا النوع من التصوير يزعم ان بامكانه التعبير عن فكرة ما برسم رجل عار على رأسه بيضة . وان باستطاعته التعبير عن فكرة الزمان وفكرة المكان باشكال اخرى ولعل ابرزوا وضح ما يرد به على هذا هو ما تنشره بعض المجلات من شرح قصير تحت الصورة . وهي بهذا تسخر — من حيث تدري او لا تدري — من هذه الرمزية ، لان معنى ذلك هو أن الصورة لا تستطيع شرح نفسها بنفسها ولهذا يكتب الشرح تحتها

والحق ان الرمزية في التصوير اكثر منها في الشعر زرايه بالفن وتشويها له بانتمائها اليه كما يريد دعاتها لها هذا الانتماء على ان لدعتها رأيا غريبا في وجودها ، فهم يرون ان الرمزية في تصاويرهم مقبول وجودها ومستساغ كقبول الانسان احلامه . فان جوبهت الرمزية بهذه الفوضى في التعبير والعرض رد اصحابها بان ذلك يقابل الفوضى نفسها الموجودة في الاحلام ، والمقبولة لدى المرء .

وهي حجة تافهة وسط حجج اتفه منها ، ولكنها خطرة رغم هذه التفاهه لانها تريد ان تنال من دعامة كبرى يستند اليها الفن . . . وهي التناسق

. ولا شك ايضاً في ان زعماء الرمزيين أنهم قادرون على التعبير عن الزمان والمكان بصورهم شيء باطل ، لاننا ننكر على الرمزية اتخاذها ادواتها الهزيلة واشكالها العاجزة وسائل للتعبير عن حقائق كبرى كحقيقتي الزمان والمكان وغيرهما

ويعد فخري بشعرائنا الذين هم من طراز الحيدري والملائكة ان يقابلوا شيئاً من هذا الذي ذكرناه بالادب : شعره ونثره وان يعودوا الى صوابهم ، لانهم إن عادوا مفكرين فسيترفعوا عن ذكر الجدول المفلفل والطين البليد .

بغداد دار المعلمين العالية — عبد الكريم محمود

خياز انغام كشايكوفسكي او زارع الحان كبتهوفن من ان اكون قاتلا لاناشيدي !!

— ومن يمنعك من عزفها على اوتار قلبك فحسب ؟

ولوح بيده بحركة مسرحية مضحكة .

فتألمت المستمعة بعدم مناسبة تعليقه هذا المقام وقالت :

— حسناً لن اوم احداً بعد اليوم اذا حاول تدمير ذاته .

فقال بسرعة :—

— تدميراً فنياً !! اوليست هذه كلمتك ؟

— الدمار الفني ؟ كلمة رهيبة النتائج مقدسة لو علمت فهذه الحياة دمار فني رائع متجدد كل ليل !!

وانك لا تستطيع نكران ذلك ، لانك تحياه !

سكت العازف واحس بالوخزة القاتلة ، فعاد الى مقعده الدوار الى البيانو ، وكانت الشمس قد محت الوجه الشمعي من المرآة الابنوسية ، محتها دمرتها باشعتها الحارة الخالدة .

عاد العازف ليعزف من جديد . . ويعزف بشدة ، والرموز تتطاير كالشحارير خلال اشعة الشفق وبقفزة واحدة تملأ السماوات الحية وترسم خطوطها ودوائرها في المجال الفسيح وكان يجرب تفسيرها بلحن يتماشى وهذه الانحناءات المبهمة .

فضربت المستمعة الارض بقدمها وقالت ماذا تعزف ؟ واي لحن هذا ؟ لحن قديم قديم جدا .

— لا لم اعزف شيئاً بعد فالبيانو لا زال مقفلا ياسيدتي والمفتاح هنالك في مكانه !! — وضحك ،

— خيل الي — قالت المستمعة بحيرة — اني اسمع نشيداً ما نشيد يستدر دموعا خفية المعاني من قلبي آه تذكرت — نشيد الشمس .

— بلى تذكرته — نشيد ٦ — ٦ — ٤٨ ساعة التقينا وكنا نسير في شمس الظهيرة الخالدة التي لا تكذب ، شمس الظهيرة ، شمس الحقيقة الطاغية . واردف العازف :

— هذا اللحن . . . لا ادري كيف جاء الى فمي — اوه كما جئت انت تماما لا ادري من اين وكيف .

فابتسمت برضا وقالت :

— لقد قلت : «انت من الشمس» «انت شبكة الشمس» هل تذكر قولك ؟

. . . وضحكا وانطفأت الشمعة ، وشمل الغرفة غسق او قل شفق كشفق الآلهة ، وعندها هبت الريح الوسنانة وانطلقت من النافذة ، هبت من رقادها . . معلنة في قهقهتها الشجرية من جديد ، ميلاد نشيد قديم قديم : —

« طوبى لن يعزفون الحانهم في صدورهم بلا آلة . كالريح تمر في صدر الغابة تعزف . وتعزف بشدة . »

حلب — فائق ع . المدرس